من أوراق الرئيس (20)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

يومها قال القذافى لعبد الناصر:

إن ما دفعته ليبيا لمصر كان (صدقة)!

وعد الرئيس السادات فى أوراقه منذ بدايتها ومع صدور هذه المجلسة التى تحمل أروع أسم فى تاريخ النضال العربى أن يروى كل ما حدث فى منطق وموضوعية وصدق.. وقد فعل. مبتدئاً بالعلاقات المصرية السوفيتية، ومجهداته العنيفة من أجل أن يتحقق شئ من الوضوح أو الأمان بين الدولتين..

وقد أشهد الرئيس السادات العالم كله على ما كان بين مصر وبين السوفيت.. ونشرت هذه (الأوراق) فى البلاد العربية وباللغات الإنجليزية والعبرية واليوغوسلافية والصينية، وظهرت صفحات منها بالألمانية والإيطالية.. وقد تمت تعاقدات على نشرها فى إطار عالمى بالإنجليزية والفرنسية.. ثم هاجمتها صحيفة برافدا، وأجهزة الإعلام الشيوعية والليبية.. وكان الهجوم على شخص الرئيس السادات، وعجزت إذاعة موسكو وصحيفتها الرسمية أن تذكر واقعة واحدة قد تجنى فيها الرئيس السادات على أحد..

لأنه روى بصدق وعلى لسانه وباعتباره شاهداً على عصره ومشاركاً فى صنع أحداثه، وحارساً على منجزات ثورة يوليو وثورة مايو وانتصارات أكتوبر..

وقد توجه الرئيس السادات إلى المؤرخين والمشتغلين بالتحليل السياسى فقدم أوراقاً هى وثائق من الدرجة الأولى. حرصاً منه على أن يكون التاريخ فى متناول كل الناس، يحكمون له وعليه..

والتاريخ هو ذاكرة الشعوب.. والتاريخ هو مسرح الأحداث الإنسانية.. والتاريخ هو ذلك النهر المتلاطم الأمواج بأساً وأملاً، شكاً ويقيناً، وعلى جوانبه قامت حضارة الإنسان..

ولكل مؤرخ الحق فى أن يختار من النهر ما يروقه ... وأن يختار من الألوان ما يتفق مع مزاجه الخاص أو فلسفته التى يؤمن بها.. فليس أحد يستطيع أن يحجر على حرية أحد، ولا أن يصب مزاجه النفسى فى أى قلب من الحرير أو الحديد..

وقد جعل الرئيس السادات سنة 1975 سنة لتسجيل وقائع التاريخ، تاريخه هو يوم حمل أمانة الحكم ويوم شارك فيه، ويوم سانده وثار عليه.. ثم اعتدلت فى يديه قواعد الحكم. واستقامت تحت أقدام الناس وبهم ومن أجلهم قواعد العدالة والديمقراطية..

ثم إن الرئيس السادات قد توجه أيضاً بأوراقه إلى الشباب.. إلى مستقبل مصر.. إلى الوجه المشرق الجديد لمصر.. إلى الذين لم يذوقوا مرارة هذه الأرقام 48، و56، و67، 96 .. ولم يتسع وقتهم بعد ليتذوقوا حلاوة 73 ..

فالحياة شاقة على الكبار والصغار.. والصغار أكثر حساسية وأشد تطلعاً. ومن حقهم أن ينظروا إلى المستقبل وأن يتجاوزوا صدى الرصاص، ودخان المدافع ومطبات العلاقات المصرية العربية الدولية..

ولكن من العدل ألا ينسوا ما الذى قدمه الآباء وعاناه الأجداد.. ألا ينسوا أنهم سوف يكونون كباراً أيضاً. وسوف يضيقون بالحساب إذا جلس أبناؤهم يحاسبونهم.. تماماً كما يحاسبون اليوم آباءهم وأجدادهم.

ولكن الشباب يجب أن يعرف الحقيقة. حتى لا يضل وحتى لا يرى مصر الجميلة قبيحة، وحتى لا يرى مصر الخالدة.

كيف تكون البداية فى تسجيل مسار العلاقات المصرية الليبية..

لا تهم البداية ولا يهم كثيراً مدى اتساع الخطوات الأولى فى هذا الطريق. فأى طريق مهما طال أو قصر، أو ضاق أو اتسع، أو أعتدل أو التوى، أو كان جليدياً كالذى بين موسكو والقاهرة، أو رملياً مليئاً بالسراب كالذى بين القاهرة وطرابلس، فإنه يبدأ بخطوة وبعدها تتوالى الخطوات ثابتة أو مضطربة.. مرتبكة أو واثقة..

وعلى كل حال فإننى أسجل هنا بعض العبارات.. جاءت فى رسالتين بعثت بهما إلى مجلس الثورة الليبى الأولى قلت فيها: (إن اقتحام خط بارليف ومعركة الثلاثة آلاف دبابة ومواجهة أول حرب إلكترونية فى التاريخ لم يكن لهواً ولا عبثاً. وما أدى إليه هذا من تغيير فى الواقع العربى لا ينكره إلا المكابرون..

وإنه ليؤسفنى أن أذكركم وأنتم العسكريون أن فن الحرب، يعتمد فيها يعتمد على فن التوقيت. متى تهم ومتى تضرب ومتى تكف. وفى كل ذلك تحدد أهدافك السياسية والعسكرية والتكتيكية والاستراتيجية..

"إن عذر معمر القذافى الوحيد عندى أنه لم يمارس الحرب، ولم يعرف القتال، وذلك الامتحان الذى عرفته مصر فى أربع حروب ضحت فيها بآلاف الشهداء".

وهذه العبارة جاءت رداً على كثير من الادعاءات وعلى التشهير بقواتنا المسلحة، والتهوين من عظمة المعركة التى قمنا بها، وجلال النصر الذى تحقق لأمتنا العربية.. وللحقيقة، كما سنرى، لم يكن جهل القذافى بالحرب هو العذر الوحيد المقبول عندى.. أو لم يكن النقص الوحيد فى تكوينه، أو القصور الوحيد فى تفكيره. فهناك أشياء كثيرة. سوف أسجلها فى حينها وفى موضعها وبملابساتها التاريخية.

وفى هذه الرسالة أيضاً قلت متوجهاً لأعضاء مجلس الثورة: ما الذى بقى من ثورة الفاتح من سبتمبر؟..

"إننى أتساءل الألم يعتصر قلبى: ما الذى تبقى اليوم من علاقة الفاتح من سبتمبر بالثالث والعشرين من يوليو، من صلة بين مصر وليبيا، بل ما الذى تبقى حقاً من ثورة الفاتح من سبتمبر؟.

هل كل ما تبقى هو تلك السلطة المزاجية المطلقة التى أرهقت أى محلل بتناقضاتها وتقلباتها وغرض أهدافها؟ هل كل ما تبقى للشعب الليبى ذاته، رأى فى طرق التصرف فى حياته وعلاقاته وأمواله، وفى سياسة بدأت تنتهى به إلى العزلة عن التيار العربى العام ؟..

وفى ختام هذه الرسالة قلت أيضاً: أما عن الحملات المتوالية والتشهير المستمر ومحاولات تطويق مصر بالعداء.. فإننا واثقون من موقفنا ومن قدرتنا ولن نبقى صامتين مكتوفي الأيدى، إزاءها إلى الأبد.

" ولقد كنت أقول لكم دائماً: أنتم الاحتياطى الاستراتيجي لهذه الأمة العربية فى مسيرتها الطويلة، وإذا كان قدرنا قد أراد أن يكون علينا نحن مسئولية مواجهة المرحلة الحالية بكل أثقالها، وأن يكون علينا نحن أن ندفع الثمن ليظل الطريق أمام الأمة العربية، مفتوحاً نحو تحقيق أحلامها، فإن جيلكم ودروكم كاحتياطى لأمتنا هو الذى ستكون لديه فرصة ممتدة لمواصلة الطريق..".

وأخيراً قلت: " هذا هو موقفنا بكل تجرد وصراحة زائلة، وحتى لا يرى شعبه العظيم هزيلاً، وحتى لا يرى فقط لمعان الدموع وبريق الذهب..

والكثير جداً مما جاء فى أوراق الرئيس السادات عن المسألة الليبية أو المساءلة الليبية يهم الشباب ويطمئنه على بلده ومستقبله. ويؤكد له أن الحقد نبات غريب عن حقولنا.

وإلا فكيف يرى الشبان مسيرة التخريب الليبية..

وكيف يرى الشبان هذا الذى أحدثته الأيدى الصغيرة والعقول الساذجة فى يومى 18 ، و 19 يناير من هذا العام..

إن مصر أبقى لنا، وأكرم علينا، من أن تمتد أيدينا فنلوث وجهها المضيء..

وإن مصر لم يصبها سوء فى تلك الأيام من شهر يناير..

وإنما أصابنا نحن الكثير جداً: إذا كيف نحرق بيوتنا بأعواد كبريتنا، ونحطم سياراتنا بأظافرنا، ونكتب بالدخان والوحل عارنا..

إن فى أوراق الرئيس السادات عبرة وحكمة. ومن هنا اكتسبت أهمية خاصة وسوف يكون لها مكانها الرفيع عند الحساب.. أى عندما نحاسب أنفسنا وغيرنا عن الذى قدموه لمصر، وسحبوه من تحت أقدام مصر..

والأمر الذى بعد ذلك ليس فى يدى بقدر ما هو فى أيديكم.

وإن هذه العبارات الواضحة المحددة الأليمة لم تأت فى أول الطريق للعلاقات الغامضة المتشنجة بين مصر وليبيا، وإنما جاءت فى منتصف الطريق أى فى 7 مايو سنة 1974. وهذه العلاقات نراها فى مصر غامضة، ونرصدها متشنجة. وهذا هو مبعث الحيرة والضحك أحياناً.

وعلى الرغم من أن الكثير من المواقف الفردية –وهى كلها فردية تابعة من ذات معمر القذافى– فإننى سأجدها ما استطعت ألا استجيب لإغراءات الضحك والمفارقات لكى أضعها فى وزنها وحجمها الصحيح. فليست مصائر الشعوب نكتة أو تمثيلية مضحكة. ورغم حاجتى إلى الضحك، فإننى أرى الاستغراق فيه، استخفافاً لا يليق بمن يحمل أعباء القدر ويشارك فى صنع تاريخ بلاده والأمة العربية..

وحتى هذه المواقف المضحكة هى جزء من المأساة التى فرضت علينا ، وفرض علينا أن نواجهها بالحزن العميق على أن تتردى معانى الأخوة، ورفقة الطريق إلى هذا المصير الأليم.

****

وفى الرسالة الثانية التى بعثت بها إلى مجلس الثورة الليبى بتاريخ 7 أغسطس 1974 أشرت إلى هذه المعانى مرة أخرى.

فقلت ومن الضرورى أن أسجل ذلك فى البداية لتظهر واضحة ناصعة أمام التاريخ وأمام الشباب. وأعز ما تملك الأمة العربية، أو كل أمة: إننى لا أتحدث هنا عن النوايا، إن النوايا لا قيمة لها فى القضايا السياسية، والاستراتيجية الخطيرة، ولكن هذا ما يحدث فعلاً. فكل تصرفات القيادة الليبية تستهدف تعميق الهوة بين مصر وليبيا،

وتستهدف أكثر من ذلك زرع المرارة بين الشعبين.. ونحن ندرك جيداً، وأحد أسباب ردود فعلنا الهادئة أننا نحاول تفويت هذه المؤامرة التى تتورطون فيها يوماً بعد يوم، بهذا الأسلوب الخطير، من أساليب اللعب بالنار دون إدراك للعواقب البعيدة.

"إن بلادنا مفتوحة لأى مبادرة ليبية صافية النية، وبلادنا مفتوحة لكل مواطن ليبى يأتى إلى مصر، حيث لن يجد إلا كرم الضيافة وحسن المعاملة.. ونحن نعرف جيداً الفرق بين المواطن الليبى الطيب الذى يمثل طبيعة الشعب الليبى الأصيلة، وبين الذين ترسلونهم فى مهمات للتآمر والتخريب بوحى من أجهزتكم.

وختاماً فإننى مازلت آمل أن تدركوا وقبل فوات الأوان أن مصر بلد لا يخيفها الضغط، حتى ولو فيما يمس ضرورة المعركة، ولا يشتريها المال حتى ولو كان ينعكس على غذائها وكسائها.. ولا يخترقها تآمر ومحاولات تخريب فردية مكشوفة..

"إلا قد بلغت .. اللهم فأشهد".

وعلى الرغم من أننى ذكرت الكثير إجمالاً فى هذه العبارة التى اخترتها فى بداية هذه (الأوراق) فإننى قد أشرت إلى كل ما سوف يكون متفجراً فى الطريق الذى يمتد بين طرابلس والقاهرة، ويمر بالعواصم العربية الأخرى..

فهناك مداخل كثيرة للقاهرة، خيراً وشراً..

وهناك ألغام توضع فى كل هذه الطرق..

وهناك أقلام وحناجر مأجورة تعمل لحساب القذافى فى طرابلس وفى بيروت وفى القاهرة أيضاً .. وهناك أناس قد رفعوا الأرض تحت قدميه ليبدو أطول .. وهناك أناس قد زوروا فى شهادة ميلاده ليبدو أحكم.. وهناك أناس زوروا فى وصية جمال عبدالناصر، فجعلوه- كيف؟ الوارث الشرعى له فى مصر.. وهناك من خدعوه وضللوه وأوهموه ولا يزالون، وسوف يدفع الجميع ثمناً لذلك.. فإن موعد الحساب قريب.. فليس الذى فعله هؤلاء بمعمر القذافى، ولا الذى فعله القذافى بمصر بالشيء القليل، ولا الدور

الذى يلعبه أو الدور الذى حشروه فيه صغيراً، فهو ما يزال صغيراً، ولكنه فى أيد كبيرة خطيرة. ومن هنا كان الالتفات إليه ضرورياً وهاماً.

ولتكن البداية ما كان عليه العالم العربى قبل نكسة 67 .. وما بعد ذلك أيضاً..

وليس علينا إلا أن ننظر إلى الخريطة العربية.. شرقاً وغرباً. ما الذى نجده طول حكم عبد الناصر – 18 عاماً.. كان هناك تمزق شديد وكانت للبلاد العربية على الخريطة ألوان غريبة فاتحة وقاتمة .. لماذا؟ فقد كانت هناك تصنيفات جعلت للتمزق معنى.. وهذا المعنى لا ضرورة له. فقد كان هناك تصنيف يقول العرب إما تقدميون وإما رجعيون.

وهذه كلمات فى قواميس السياسة الحديثة ليست واضحة الحدود. بل إنها أكثر الكلمات تداخلاً، وألها انضباطاً.

وهناك. تصنيف يقول : ممالك وجمهوريات وإمارات ومشايخ..

وكانت هذه الأشكال تدل على الخير والشر.. أو تدل على مدى الاستعداد للبذل، والعجز عن ذلك. أو تدل على الماضى والمستقبل. وأن كل ما هو ملكى هو : شر.. وكل ما هو إمارة هو متخلف.. وكل ما هو جمهورى هو الخير للإنسانية.. وأن الذى ليس جمهورياً، لا حق له فى الحياة. دون أن تسأل أنفسنا: ومن الذى له حق العطاء فى تقرير الحياة للآخرين؟.

وكان هناك تصنيف ثالث: هو ورقة فلسطين؟.

هناك من يقفون وراء فلسطين، وهناك من يوقفون سير فلسطين..

وهناك من لا شأن لهم بهذه القضية إن إسرائيل نفسها لا تستطيع أن تتجاهل فلسطين. أى لا تستطيع أن تتجاهل أنها أكلت أرضاً، وابتلعت شعباً، ونهبت حقاً، وخلقت عداء، وأسالت دماً .. فإسرائيل نفسها تعلب بورقة فلسطين.. فكيف يتجاهلها

العرب؟ ولكن التصنيف كان يحتم أن ينقسم العرب معسكرين: مع فلسطين، وضد فلسطين..

وتجتهد هواة السياسة فى إطلاق التسميات على الدول العربية، ويجئ إطلاق التسميات مثل إطلاق الرصاص: مدوياً دامياً ظالماً أيضاً.

فإذا عدنا إلى الدول التى تنطبق عليها هذه التصنيفات الغربية العجيبة وجدنا أن كل دول النفط قد استحقت وحدها كل هذه اللعنات: فهى الرجعية المتخلفة المتجاهلة لقضية فلسطين.

- وبذلك نحذف من القوى العربية والطاقات العربية جانباً كبيراً هائلاً نحن فى حاجة إليه.. إننا حذفنا كل العرب. واضفناهم دون وعى إلى الجانب الإسرائيلى وبذلك يكون أعداؤنا أو القوى المضادة لنا أو التى ضدنا والتى ليست معنا: إسرائيل والعالم العربى. فأى مكسب فى ذلك؟

لا مكسب طبعاً. وإنما خسارة مؤكدة ونعود إلى التصنيف فنجد أن المملكة السعودية استحقت أن تكون قمة الرجعية. وبعدها الكويت ثم ليبيا. ولذلك كانت الحملات عنيفة عليها. قاسية جائرة؟ مع أن السعودية ودول الخليج التى اتهمت بالرجعية والخيانة هى التى كانت وقفتها ووحدتها الرائعة قبل حرب أكتوبر وبعدها مصدر فخر ونصر للعرب.. ولا تزال.

ووقعت النكسة التى هزت العام العربى كله.. وفتحت بطن الأرض تحت أقدامنا لننهار جسداً وروحاً وشرفاً وأملاً.. إلى أن أدركنا فضل الله، وانتشلنا من هذه الهوة السحيقة بانتصارات أكتوبر العظيمة.. فالحمد لله..

وانعقد فى الخرطوم مؤتمر القمة وحضره جمال عبد الناصر طبعاً. والملك فيصل رحمة الله عليه، والملك حسين. ولم يتمكن السنوسى ملك ليبيا من الحضور بسبب المرض. أما سوريا فرفضت المشاركة فى المؤتمر وإن كانت قد أوقدت وزير خارجيتها ليكون على مقربة من المؤتمر يشاهد ولا يشارك..

واستقبلت السودان جمال عبد الناصر استقبالاً رائعاً أدهش العالم كله. حتى إن مجلتين أمريكيتين هما "نيوزويك" وتايم قد وصفتا هذا الاستقبال : بأن السودان خرجت لاستقبال المغلوب كما تستقبل الغزاة الفاتحين!.

وفى مؤتمر الخرطوم التقى جمال عبد الناصر بقمة الرجعية العربية: ولم تكن هناك شماتة فى مصر، ولا فرحة بهزيمة جمال عبد الناصر، وإنما كان هناك موقف اندهش له جمال عبد الناصر. فقد قررت السعودية والكويت وليبيا دعم مصر بما يوازى دخل قناة السويس ولم يكن جمال عبد الناصر يتوقع أو حتى يطمع فى أكثر من خمسة ملايين أو عشر ملايين من الجنيهات.

* ومن الذى بدأ هذه المبادرة الكريمة؟

إنه الملك فيصل . فهو الذى قرر أن يدفع خمسين مليوناً من الجنيهات.. وبروحة الرقيقة ومودته الغامرة طلب من الكويت أن تدفع خمسة وخمسين مليوناً.. ومن ليبيا أن تدفع ثلاثين مليوناً.

وعلى أن توزع هذه المبالغ على مصر والأردن..

وكان الملك فيصل قليل الكلام. ولكنه إذا تكلم ففى كلماته القليلة ما يوزن بالذهب أو بالماس. والذى يعرف الملك فيصل كما أعرفه، يجد أن هذا الرجل قد علمته الحياة الكثير. وعلمته تجارب السياسة ومخالطة الشخصيات العالمية أن يكون صبوراً وأن يكون حليماً. وأن يجد لكل إنسان عذراً. ولعله قد اهتدى إلى ذلك كله عندما جلس فى مواجهة جمال عبد الناصر فى السودان. فهو أمام زعيم عربى. وأمام شخص مهزوم جريح جرحاً عميقاً. وأما أقسى أعدائه وأعنفهم. ولكن الموقف يقتضى أن تمتد الأيدى وتأخذ بيد القائد المقهور. وتلك صفات الرجل العربى الأصيل. وكان الملك فيصل هو هذا الطراز من الرجال: الذى لا تملك إلا أن تحترمه وتحبه.

ومن الغريب أو من المفارقات أن جمال عبد الناصر نفسه قد وصفوه بالرجعية أما الذى وصفه فهو النظام الحاكم فى سوريا. فالمؤتمر كله من وجهة النظر السورية رجعى متخلف انهزامى انعزالى تصفوى.

ففى داخل المؤتمر جلس جمال عبد الناصر أمام الرجعية العربية التى قررت أن تدعمه، دون أن تمن عليه. وخارج المؤتمر فى الخرطوم يرى إبراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا وصلاح جديد فى دمشق أن جمال عبد الناصر رجعى. ولذلك لم تشأ سوريا أن تشترك فى هذا المؤتمر.

واستدعى جمال عبد الناصر وزير الخارجية إبراهيم ماخوس وسأله: وأنتم لماذا لا تشتركون معنا؟

فأجاب ماخوس : أنا موافق على الاشتراك.

وسأله جمال عبد الناصر: وما رأى صلاح جديد فى دمشق؟

قال ماخوس : هو أيضاً موافق.

وسأله جمال عبد الناصر: إذا كنتم جميعاً موافقين فلماذا الوقوف على الكواليس؟

ولكن التعليمات فى ذلك الوقت هى أن تقف سوريا بعيداً ..

وكان السوفيت فى ذلك الوقت يحاولون ضرب مصر بسوريا، أى ضرب جمال عبد الناصر بصلاح جديد..

كما حاولوا أن يضربونى بالرئيس حافظ الأسد. وهذه المحاولة فشلت تماماً.. فالرئيس حافظ الأسد. وهذه المحاولة فشلت تماماً .. فالرئيس الأسد صديقى. وقد اشتركنا معاً فى الأعداد والاستعداد والنصر فى حرب أكتوبر ومازلنا معاً فى حملة السلام..

وكان عنده ضعف أيضاً بالنسبة للأردن. ويشعر نحوها بكثير من الأسى والمرارة.. بالأسى العميق لما أصاب الأردن. والمرارة بسبب هزيمة الأردن فى

الحرب وكان يتولى قيادة قواتها ضابط مصرى كبير هو عبد المنعم رياض.. ومما يذكر الملك حسين حقاً أنه هو الذى سلم القيادة لعبد المنعم رياض.. وقد دخل الحرب من أول لحظة مع مصر..

ومن الإنصاف أن أقرر أن ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت قد تعهد للملك حسين بأنه لن يمس الأرض الأردنية ولن يطلق عليها رصاصة واحدة إذا لم تدخل الأردن هذه الحرب..

ولكن حسين كان موقفه واضحاً وشريفاً..

وكانت مسئولية مصر فادحة فى المعركة الأردنية.

وبانتهاء مؤتمر الخرطوم عاد جمال عبد الناصر إلى القاهرة. وأشهد الله أن الرجل قد تأثر تأثراً عميقاً بالغاً لما حدث فى الخرطوم. فالذى حدث لم يكن سهلاً على نفسه. فقد ألجأته الهزيمة إلى أن يواجه كل الذين اتهمهم بالرجعية والعمالة والخيانة. ولم يجد أحداً منهم شامتاً أو متعالياً أو واحداً ينتهز هذه الفرصة ليتركه يسقط حتى الموت. وإنما الذى فعله الملك فيصل وبمبادرة منه هو، قد أصاب (شفاف قلب) جمال عبدالناصر.

- صحيح أن جمال عبد الناصر قد أنهزم فى 5 يونيو، ولكن مؤتمر الخرطوم كان هزيمة معنوية أخرى.. فقد سقطت أمامه فى لحظة واحدة كل التصنيفات والاتهامات والصور الكاذبة التى ألصقتها أجهزة الإعلام المصرية بكل هؤلاء الأشقاء العرب..

ولذلك وجدت جمال عبد الناصر عندما عاد إلى القاهرة قد تقدمت به السن خمسين عاماً أخرى!.

وقد صارحنى جمال عبد الناصر بكل هذه المعانى الأليمة. وصارحنى بأنه أخطأ فهم "هؤلاء الناس" .. وأنه من الواجب ألا نستمر فى هذا الخطأ. وأن الذى فعلوه فى الخرطوم كان دشاً بارداً وأننا يجب أن نسمو إلى هذا المستوى العربى الرفيع..

وأذكر، وللتاريخ أيضاً، أنه استدعى سامى شرف وقال له أمامى وبوضوح تام: لا هجوم على السعودية. ولا هجوم على ليبيا.

ولا يكتف بهذا الأمر القاطع وإنما قال أيضاً: ومنذ هذه اللحظة!.

ولكن للأسف الشديد دخل جمال عبد الناصر فى تلك المرحلة التى كان يقال له فيها: حاضر يا أفندم!.

ثم لا ينقذون له أمراً. فقد ظلت أجهزة الإعلام ماضية فى طريقها. فلم تصلها بعد قرارات جمال عبد الناصر بإيقاف الحملات الموجهة ضد الرجعية العربية الخائنة.. فى السعودية وفى ليبيا؟..

وكذلك مضت أجهزة المخابرات المصرية فى نشاطها فى السعودية. فهذه الأجهزة أيضاً لم تتلق بعد أوامر جمال عبد الناصر..

ورأى جمال عبد الناصر أن يصلح ما فسد بين مصر والسعودية بصورة واضحة.. فوجه الدعوة للملك فيصل أن يزور مصر. لعل جمال عبد الناصر أن يؤكد له أن صفحة جديدة قد انفتحت. وأن جمال عبد الناصر قد كتب الكلمات الأولى فى السطر الأول من هذه الصفحة لا هجوم على السعودية!.

وجاء الملك فيصل إلى مصر. وبعد العشاء فى صوت هادئ ونبرة حكيمة وعلى مسمع من كثير من الحاضرين، وكلهم أحياء الآن، فإن الملك فيصل: يا فخامة الرئيس ما يزال الهجوم علينا عنيفاً. ومازال بعض المصريين يعملون ضدنا فى بلادنا!.

وكان ذلك فى بيت جمال عبد الناصر، فقد كانت حفلات العشاء بعد النكسة تقام فى بيته. وجاءت هذه الكلمات الهادئة مثل قنابل شديدة الانفجار تسللت إلى عروق جمال عبد الناصر. فأحمر وجهه وتفجر غضباً وهو يقول: إننى أرجوك يا جلالة الملك أن تشير إلى أى شخص يرتكب مثل هذه الأعمال أو الأقوال فى مصر أو فى أى مكان وأنا أبعثه إليك لتحاكمه.. حتى لو كان ذلك الشخص هو أنور السادات!.

وكان جمال عبد الناصر يعلم مدى صداقتى للملك فيصل.. وإنها لا تقل فى قوتها وعمقها وحرصى عليها، من صداقتى لجمال عبد الناصر نفسه..

ولأول مرة أسمع جمال عبد الناصر يقول.

- هذه الكلمة: توبة!.

وهو يقصد أن يتوب عن مهاجمة رجال فى وزن الملك فيصل..

وقد رويت هذه الواقعة لمعمر القذافى الذى يبشر ويبشرون له، بوراثة جمال عبدالناصر نفسه عدل عن المواقف العنيفة غير المحسوبة..

هذا بالنسبة للملك فيصل. أما بالنسبة للملك الليبى إدريس السنوسى فله قصة أخرى. وهذه القصة هى بداية خيط فى ذلك الثوب المهلهل الذى ترتديه العلاقات المصرية الليبية.. وإن لم يكن هذا الخيط واهناً. أول الأمر..

فقد احتاجت مصر إلى السلاح. ولابد أن تشتريه من الاتحاد السوفيتى نقداً وبالعملة الصعبة.

ولم يجد جمال عبد الناصر زعيماً عربياً يتجه إليه سوى الملك إدريس السنوسى. فقد كانت علاقة مصر بكل الدول العربية والغربية مقطوعة تماماً.

وقرر السوفيت أن المبلغ المطلوب عشرون مليوناً من الجنيهات. وأرسل الملك إدريس ناظر الخاصة الملكية بشيك بمبلغ عشرة ملايين من الجنيهات كدفعة أولى.. على أن يدفع الباقى بعد ثلاثة شهور، أى عندما تدفع شركات البترول أقساطها.

ولم يتردد الملك السنوسى لحظة واحدة. ولا فكر ولا تردد وإنما استجاب فوراً..

هذا المبلغ هو الذى وصفه معمر القذافى بعد ذلك أمام جمال عبد الناصر فى مفاوضات قصر القبة بأنه كان: (صدقة من ليبيا).

ولم يكد جمال عبد الناصر يسمع هذا الكلمة حتى جمع أوراقه وسحب مقعدة وخرج من القاعة فى حالة من الغضب هزت نبراتها سماعة التليفون وهو يروى لى

هذه الإهانة الأليمة والتى لم يكن يتوقعها من القذافى بالذات، أو أن يكون ذلك فى مصر وفى مواجهة جمال عبد الناصر، وعلى مسمع من الوفدين المصرى والليفى!.